Al Wasl University Journal - Issue (65) - December 2022
ISSN 2791-2949 (Online)

Speech Rhetoric Competence in Ibn Khaldun's Point of View

Dr. Ali Saddiki - Al Wasl University - Dubai - UAE

https://doi.org/10.47798/awuj.2022.i65.08

Received: 07-02-2022

Accepted: 23-05-2022

Published: 01-12-2022

Corresponding Author:

Saddiki-1@hotmail.fr

Abstract

This study spots light on the rhetorical competence in speech according to Ibn Khaldun, a competence that strongly attracted his attention and shaped the subject of rhetoric for him.

This study proceeds from the assumption that the rhetorical competence is one of the linguistic competences because rhetoric is a branch of linguistics. However, this competence is undoubtedly distinguished by intrinsic traits and characteristics that make it different from other linguistic competences. Therefore, the problem that I have worked on is what is the rhetorical competence according to Ibn Khaldun? It is known that the question with "what" is a question about the essence and the core of a thing.

From here, I have sought to achieve a special scientific goal to understand the nature of the rhetorical competence according to Ibn Khaldun, to clarify its intrinsic characteristics, and to reveal the conditions without which this competence cannot achieve its purpose.

Subsequently, I have sought to achieve this goal by defining the concept of the rhetorical competence according to Ibn Khaldun. This is done through revealing its origins, highlighting its relationship with the neighboring concepts by adopting methods of description, analysis, and comparison to describe Ibn Khaldun's rhetorical perception through his texts, and analyze it for the purpose of revealing its origins, and comparing it with the perceptions of philosophers and rhetoricians preceded him to reveal the sources of his rhetorical thought.

Thus, this study is divided into two sections. The first deals with the concept of the rhetorical competence according to Ibn Khaldun. The second talks about the relationship of the rhetorical competence to the terms of flair and temperament.

Keywords: linguistic competence, rhetorical competence, semantics worth, semantics perfection, temperament, flair.

ملكة البلاغة في اللسان عند ابن خلدون

د. علي صدّيقي – جامعة الوصل – دبي – الإمارات العربية المتحدة

ملخص

يتناول هذا البحث موضوع ملكة البلاغة في اللسان عند ابن خلدون، وهي الملكة التي حظيت باهتمامه، وشكلت موضوع البلاغة عنده.

لقد انطلقنا في هذا البحث من افتراض مفاده أن الملكة البلاغية ملكة من الملكات اللسانية، لأن البلاغة علم من علوم اللسان. غير أن هذه الملكة لا شك في أنها تتميز بسمات وخصائص ذاتية تجعلها تختلف عن غيرها من الملكات اللسانية. ولذلك كانت الإشكالية التي اشتغلنا بحلها، هي: ما الملكة البلاغية عند ابن خلدون؟ ومعلوم أن السؤال بـ»ما«، سؤال عن ماهية الشيء وذاته.

من هنا، سعينا إلى تحقيق هدف علمي خاص، يتمثل في إدراك طبيعة الملكة البلاغية عند ابن خلدون وبيان خصائصها الذاتية، والكشف عن الشروط التي لا يمكن لهذه الملكة أن تحقق غرضها بدونها.

وقد حاولنا تحقيق هذا الهدف، بتحديد مفهوم الملكة البلاغية عند ابن خلدون، والكشف عن أصولها، وإبراز علاقتها بما يجاورها من مفاهيم، معتمدين في ذلك مناهج الوصف والتحليل والمقارنة، لوصف تصور ابن خلدون البلاغي من خلاله نصوصه، وتحليله بغرض الكشف عن أصوله، ومقارنته بتصور من سبقه من فلاسفة وبلاغيين بغية الكشف عن مصادر فكره البلاغي.

وهكذا، قسمنا هذا البحث إلى مبحثيْن؛ تناولنا في أولهما مفهوم الملكة عند ابن خلدون. وتحدثنا في الثاني عن علاقة الملكة البلاغية بمصطلحي الذوق والطبع.

الكلمات المفتاحية: الملكة اللسانية، الملكة البلاغية، إفادة المعنى، كمال الإفادة، الطبع، الذوق.

المقدمة

موضوع هذا البحث هو «ملكة البلاغة في اللسان» عند ابن خلدون. ذلك بأن ملكة البلاغة قد تكون في اللفظ أو اللسان، وقد تكون في الخط أو الكتابة. كما قد تكون في غير اللسان والكتابة.

وقد اخترنا هذه الملكة لتكون موضوع هذا البحث دون غيرها، لاعتبار علمي واحد، هو أنها الملكة البلاغية التي حظيت باهتمام ابن خلدون في مقدمته، وشكلت موضوع البلاغة عنده. صحيح أنه تحدث عن صناعة الخط والكتابة، غير أن حديثه عنها اتسم بالإجمال والإيجاز. وسبب ذلك، عندنا، هو متابعته الفلاسفة اليونانيين والمسلمين فيما ذهبوا إليه من أن الكتابة لا تدل دلالة مباشرة على ما في النفس من المعاني، وإنما ينحصر غرضها في الدلالة على الكلمات المنطوقة، التي تدل على المعاني الكامنة في النفس. وهذا ما يجعل الدلالة بالكتابة تأتي في المرتبة الثانية، بعد الدلالة باللسان.

ومن المعلوم أن دراساتٍ كثيرةً انصبّت على مقدمة ابن خلدون، غير أن أغلبها قد ركز على الجوانبِ الفكرية والاجتماعية والتاريخية والتربوية في المقدمة، مما هو خارج عن موضوع بحثنا، ولذلك استبعدناها. أما الدراسات التي تناولت تصور ابن خلدون البلاغي فهي قليلة، نذكر منها: دراسة يوسف بن عبد الله العليوي، الموسومة بالقضايا البلاغية لدى ابن خلدون،[١] ودراسة عبد القادر عيدي بعنوان: الملكة البلاغية عند ابن خلدون – المقدمة نموذجا.[٢] وبحث محمد الصغير بناني: البلاغة والعمران عند ابن خلدون.[٣]

١- نشرت بمجلة العلوم العربية، علمية فصلية محكمة، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ع٢٣، ربيع الآخر، ١٤٣٣هـ.

٢- نشرت بمجلة اللسانيات التطبيقية، علمية مختصة في اللسانيات التطبيقية، مخبر اللسانيات التطبيقية وتعليم اللغات، جامعة أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ع٣، ٢٠١٨.

٣- نشر بمجلة الأدب واللغة، علمية تصدر عن قسم اللغة العربية بكلية اللغة العربية وآدابها واللغات الشرقية بجامعة الجزائر ٢، ع١٠، ٢٠٠٣.

غير أننا لم نستفد من هذه الدراسات استفادة تستحق الذكر، لاعتبارات كثيرة، منها: اختلاف طبيعة المعالجة، وتباين مقاصد هذه الدراسات مع مقاصد دراستنا، ومنها أيضا اكتفاء بعضها بعرض نصوص ابن خلدون، دون تحليلها للوقوف على أصول الفكر البلاغي الخلدوني ومصادره.

لقد انطلقنا في هذا البحث من فرْض مضمونه أن الملكة البلاغية لا يمكن أن تكون إلا ملكة من الملكات اللسانية، لأن البلاغة علم من علوم اللسان. غير أن هذه الملكة لا شك في أنها تتميز بسمات وخصائص ذاتية بها قَوامها وتميزها الذاتي من غيرها من الملكات اللسانية الأخرى. ولذلك كان السؤال الذي طرحناه منذ البداية، والذي اشتغلنا بالإجابة عنه، هو: ما الملكة البلاغية عند ابن خلدون؟ ومعلوم أن السؤال بـ«ما»، بحسب المناطقة، سؤال عن ماهية الشيء، بحيث يُطلب بها معرفة ذات الشيء المسؤول عنه.

وقد تبين لنا بعد النظر فيما كتبه ابن خلدون، أن ما كان مجرد فرض تحول إلى حقيقة؛ حيث اتضح لنا أن الملكة البلاغية تشترك مع الملكة اللسانية العامة، في أنها تحتاج بدورها إلى الطبع السليم، وتفتقر إلى التعليم. غير أنها تختلف عنها في كون وظيفتها لا تتحدد في مجرد التعبير عن المعاني الكامنة في النفس، كما هو حال الملكة اللسانية، وإنما تتعداها إلى تحقيق وظيفة أخرى غير وظيفة الإفادة، هي وظيفة «كمال» الإفادة و«تمامها»، وهي الوظيفة التي لا يمكن أن تتحقق سوى ببلوغ المتكلم الغاية القصوى من بيان مقصوده للمخاطَب.

من هنا، كان تركيزنا في هذا البحث، على تحقيق أهداف خاصة، تتمثل في إدراك طبيعة الملكة البلاغية عند ابن خلدون وبيان خصائصها الذاتية، والكشف عن الشروط التي لا يمكن لهذه الملكة أن تحقق غرضها بدونها.

وقد سعينا إلى تحقيق هذا الهدف، بضبط حدود الملكة البلاغية عند ابن خلدون؛ وذلك بتحديد مفهومها، وبيان طبيعتها، والكشف عن أصولها، وإبراز علاقتها بما يجاورها من مفاهيم، معتمدين في ذلك مناهج الوصف والتحليل والمقارنة، لوصف تصور ابن خلدون البلاغي من خلاله نصوصه، وتحليله بغرض الكشف عن أصوله، ومقارنته بتصور من سبقه من فلاسفة وبلاغيين بغية الكشف عن مصادر فكره البلاغي.

وهكذا، قسمنا هذا البحث إلى مبحثيْن؛ تناولنا في أولهما مفهوم الملكة عند ابن خلدون، وذلك بالحديث عن معنى هذه الملكة عنده، وببيان طبيعتها من خلال بيان علاقتها بعلم البلاغة خاصة. أما المبحث الثاني؛ فخصصناه للحديث عن علاقة الملكة البلاغية بمصطلحين يكثر استعمالهما في مقدمة ابن خلدون، وفي مصنفات البلاغيين العرب القدامى، هما: الذوق والطبع.

أولا: الملكة البلاغية عند ابن خلدون: مفهومها، وطبيعتها

١– مفهوم الملكة البلاغية عند ابن خلدون

الملكة عند ابن خلدون «صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى حتى ترسَخ صورتُه».[١]

وهذا يعني أن الملكة ليست مجرد صفة من الصفات، أو حال من الأحوال، لأنها لو كانت كذلك لكانت سريعة الزوال، بخلاف الملكة التي هي صفة راسخة ثابتة. من هنا، نجد ابن خلدون يميز بين الصفة والحال من جهة، وبين الملكة من جهة أخرى.[٢]

١– ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة. تحقيق: عبد السلام الشّدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥، ج٢، ص٢٨٠.
٢– المرجع السابق، ج٣، ص٢٥٠.

إن الملكة بهذا المعنى كيفية من الكيفيات، والكيفية مقولة من المقولات المنطقية. غير أن المناطقة ميزوا بين صنفين من الكيفيات، هما: «الصورة» أو «الحال»، و«الملكة»،[١] وفرقوا بينهما بأن قالوا إن الحال «كيفية سريعة الزوال»،[٢] وإن الملكة «كيفية راسخة في المحل أي متعسر الزوال أو متعذرة».[٣] وهذا ما يوضحه ابن رشد حين يقول معرفا الكيفية: «أسمي الكيفية الهيئات التي بها يسأل في الأشخاص كيف هي. وهذه الكيفيات تقال على أجناس أول مختلفة. فأحدها الجنس من الكيفية التي تسمى ملكة وحالا. والملكة منها تخالف الحال في أن الملكة تقال من هذا الجنس على ما هو أبقى وأطول زمانا، والحال على ما هو وشيك الزوال».[٤]

ويمثل ابن رشد للملكة بالعلوم والفضائل؛ حيث يؤكد أن «العلم بالشيء، إذا حصل صناعة كان من الأشياء الثابتة العسيرة الزوال».[٥] أما الحال، فيمثل لها

١- ابن الطيب البغدادي، أبو الفرج. الشرح الكبير لمقولات أرسطو. تحقيق: علي حسين الجابري، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٠، ص٤٨٨.

٢- التوحيدي، أبو حيان. المقابسات. تحقيق وتقديم: محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٩، ص٢٩٠.

٣- التهانوي، محمد علي. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. تحقيق: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة وترجمة: رفيق العجم، عبد الله الخالدي، جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١، ١٩٩٦، ج٢، ص١٦٤٢. يقول الشريف الجرجاني معرفا الملكة: «هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أنه يحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة: كيفية نفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت ومارست النفس لها حتى ترسخ تلك الكيفية فيها وصارت بطيئة الزوال فتصير مَلَكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادةً وخُلقًا». الشريف الجرجاني، علي بن محمد. كتاب التعريفات. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣١٨. وانظر تعريفه لمقولة الكيف، ص٢٦٩. وانظر كذلك: ابن المناوي، عبد الرؤوف. التوقيف على مهمات التعاريف. تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، ص٣١٤-٣١٥.

٤- ابن رشد، أبو الوليد محمد. كتاب قاطيغورياس أو كتاب المقولات. ضمن: نص تلخيص منطق أرسطو، تحقيق: جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢، مج٢، ص٤٧. وانظر أيضا: الفارابي، أبو نصر. رسالة التنبيه على سبيل السعادة. تحقيق: سحبان خليفات، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٨٧، ص١٩٠. الغزالي، أبو حامد. معيار العلم. تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ١٩٦١، ص٣٢٠.

٥- ابن رشد. كتاب قاطيغورياس أو كتاب المقولات. ص٤٧.

بالأشياء «السريعة الحركة، السهلة التغير مثل الصحة والمرض والحرارة والبرودة التي هي أسباب الصحة والمرض؛ فإن الصحيح يعود بسرعة مريضا والمريض صحيحا ما لم تتمكن هذه فيعسر زوالها».[١]

وعليه، يمكن القول إن كل ملكة حال، ولا ينعكس، لأن الملكات، كما يقول ابن رشد، «إنما هي أولا حالات ثم تصير بالآخرة ملكات»،[٢] وهو المعنى نفسه الذي يؤكده ابن خلدون، حين يقرر أن «الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولا وتعود منه للذات صفة، ثم يتكرر، فيكون حالا. ومعنى الحال أنه صفة غير راسخة. ثم يزيد التكرار، فيكون ملكة، أي صفة راسخة».[٣] ويؤكده البلاغيون أيضا، حين يقررون بأن الفصاحة والبلاغة في المتكلم إنما هي ملكة، وليست مجرد صفة، لأن الملكة هيئة راسخة قارة، بخلاف الصفة التي هي سريعة الزوال.[٤]

١- المرجع السابق، ص٤٧.
٢- المرجع السابق، ص٤٨.
٣- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٥٠.
٤- يقول الخطيب القزويني: «أما فصاحة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح... وقيل: ملكة، ولم يقل صفة، ليشعر بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة». الخطيب القزويني، جلال الدين. الإيضاح في علوم البلاغة. شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ج١، ص٤٠. ويقول التفتازاني: «ثم الكيفية إن اختصت بذات الأنفس تسمى كيفية نفسانية وحينئذ إن كانت راسخة في موضعها تسمى ملكة ولا تسمى حالا. فالملكة: كيفية راسخة في النفس. فقوله: ملكة إشعار بأن الفصاحة من الهيئات الراسخة، حتى لو عبر عن المقصود بلفظ فصيح من غير رسوخ ذلك فيه لا يسمى فصيحا في الاصطلاح». التفتازاني، سعد الدين. المطول شرح تلخيص المفتاح. صححه وعلق عليه: أحمد عزّو عناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (د. ت)، ص١٢٦. انظر أيضا: السبكي، بهاء الدين. عَروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ج١، ص١٠١-١٠٢. الدسوقي، محمد بن محمد عرفة. حاشية الدسوقي على شرح السعد. ضمن: شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت)، ص١١٨-١١٩.

ولما كانت الملكة كيفية، والكيفيات أنواع وأصناف كثيرة، كما يقرر المناطقة،[١] فإن الملكات أيضا أنواع وأصناف كثيرة، متعددة تعدد الصنائع والعلوم. ولهذا، نجد ابن خلدون يتحدث عن ملكات كثيرة؛ منها: الملكة اللسانية، والملكة البلاغية، والملكة الفقهية، والتصوفية، وغيرها.[٢]

أما الملكة البلاغية، موضوع هذه الدراسة، فهي ملكة من الملكات اللسانية؛ لأن البلاغة علم «من العلوم اللسانية»،[٣] وهذا يعني أن الملكة اللسانية نوع تندرج تحتها أصناف من الملكات، مثل الملكة البلاغية، والملكة النحوية، والمكلة الشعرية. وهذا يعني أن بين الملكة اللسانية والملكة البلاغية علاقة عموم وخصوص.

يقرر ابن خلدون أن اللغة «هي عبارة المتكلم عن مقصوده»،[٤] ويؤكد أن اللغات كلها إنما هي «ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني»،[٥] و«ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني».[٦] كما يؤكد أن تلك العبارة إنما هي «فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام»، وأنه «لابدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللّسان».[٧]

ومن الواضح أن هذه التعريفات التي يقدمها ابن خلدون للغة، إنما تحدد وظيفتها في التعبير؛ وتفيد أن الملكة اللسانية إنما تعني قدرة المتكلم على الإبانة عن مقاصده وأغراضه. من هنا، ذهب إلى أن سر الكلام وروحه إنما هو «إفادة

١- انظر: ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي. التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية. تحقيق: عبد الحق التركماني، دراسة وتقديم: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، ص٣٨٩. ابن رشد. كتاب قاطيغورياس أو كتاب المقولات. ص٤٨-٤٩.

٢- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٩٣.

٣- المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٤.

٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٧.

٥- المرجع السابق، ج٣، ص٢٥٠.

٦- المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٣.

٧- المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٧.

المعنى».[١] والمقصود بالمعنى هنا المعنى الأصلي الوضعي، وهذه وظيفة الإعراب أو النحو، بحسب ابن خلدون.[٢]

أما الملكة البلاغية التي هي ملكة من الملكات اللسانية، فلا تتوقف وظيفتها عند حدود عبارة المتكلم عما في ضميره من المعاني وترجمتها، لأن مثل هذه الوظيفة يمكن أن تتحقق بأي لفظ، كما يمكن أن تتحقق بغير اللفظ، وإنما تتجاوز ذلك إلى بلوغ هذا المتكلم «الغاية من إفادة مقصوده للسامع».[٣] من هنا، يمكن القول إن سر البلاغة وروحها ليس هو مجرد «إفادة المعنى»، وإنما هو «كمال الإفادة»،[٤] و«تمامها».[٥] وهذه وظيفة البلاغة، وليس الإعراب.[٦]

إن هذا التمييز الذي يقيمه ابن خلدون بين الملكة اللسانية والملكة البلاغية، مرده إلى الفرق بين علم النحو وعلم البيان، ذلك بأن موضوع علم النحو هو الألفاظ والمعاني، وموضوع نظر النحوي هو «دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي، وتلك دلالة عامة». أما موضوع علم البيان، فهو، إلى جانب دلالة اللفظ على المعنى، «الفصاحة والبلاغة»،[٧] وموضوع نظر البلاغي ليس هو مجرد هذه الدلالة، وإنما هو «فضيلة تلك الدلالة، وهي دلالة خاصة... وذلك أمر

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٦.
٢- المرجع السابق، ج٣، ص٢٧٩.
٣- ابن حزم الأندلسي، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية:٣/ ٢٥٠.
٤- يقول ابن خلدون: «كمال الإفادة هو البلاغة». المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٦.
٥- المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٤.
٦- المرجع السابق، ج٣، ص٢٧٩. ويقول في موضع آخر من المقدمة: «الكلام باعتبار إفادته أصل المعنى الذي هو وظيفة الإعراب، ولا باعتبار إفادته كمال المعنى من خواص التراكيب الذي هو وظيفة البلاغة والبيان». ج٣، ص٢٧٩.
٧- فرق بعض البلاغيين بينهما على أساس أن الفصاحة مقصورة على الألفاظ، والبلاغة مقصورة على المعاني. غير أن أكثر البلاغيين متفقون على أن الفصاحة والبلاغة شيء واحد، ولا فرق بينهما. انظر: العلوي، يحيى بن حمزة. الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣١ / ٢٠١٠م، ج١، ص١٤٤. صدّيقي، علي. النحو والمعنى: بحث في طبيعة التفكير النحوي عند العرب. ضمن كتاب: النحو العربي واللسانيات المعاصرة - الائتلاف والاختلاف. تحرير وإشراف: مختار حسيني، تقديم: الطيب دبة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط - الجزائر، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م، ص٣١-٣٢.

وراء النحو والإعراب». [١] ولا أدل على ذلك من أن النحوي يفهم كلام العرب، شعره ونثره، ويعلم إعرابه، إلا أنه لا يدرك، بما هو نحوي، ما في هذا الكلام من فصاحة وبلاغة. [٢]

ويظهر من حديث ابن خلدون عن البيان، أن هذه الغاية -كمال الإفادة وتمامها- لا تتحقق بمجرد العبارة عن المعنى، بلغة سليمة خالية من اللحن، وإلا لما كان هناك فرق بين الملكة النحوية وبين الملكة البلاغية، وإنما تتحقق، بعد مراعاة الإعراب والعبارة عن المقصود، بتوفر جملة من الشروط الزائدة، التي هي من أصول الملكة البلاغية، ومن مقتضيات بلاغة الكلام والمتكلم؛ منها: مراعاة أحوال المخاطبين، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، ومنها الدلالة على جملة من المعاني الزائدة غير الوضعية، التي لا يدل عليها اللفظ بطريق مباشر، ومنها، كذلك، العبارة عن هذه المعاني بألفاظ مخصوصة، وبكلام حسن.

ولهذا، نجد ابن خلدون يعرف البلاغة بأنها «مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه». [٣] ويذهب إلى أن «المتكلم بلسان العرب والبليغ فيه يتحرى الهيأة المفيدة لذلك على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم». [٤] ويلح على ضرورة مراعاة مقتضى الحال، ويجعل ذلك مقوما للكلام البليغ، حتى إنه يخرج الكلام الذي لا يراعي أحوال المخاطبين من جنس كلام العرب؛ حيث يقول: «يبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة، أحوال المتخاطبين والفاعلين وما

١- ابن الأثير، ضياء الدين. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، (د. ت)، ص٣٧. وقد أكد ابن الأثير أن «أسرار الفصاحة لا تؤخذ من علماء العربية، وإنما تؤخذ منهم مسألة نحوية، أو تصريفية، أو نقل كلمة لغوية، وما جرى هذا المجرى. وأما أسرار الفصاحة فلها قوم مخصوصون بها». المرجع السابق، ص٣٠٠. ولهذا، زعم أن الجهل بالنحو لا يقدح في فصاحة ولا بلاغة! المرجع السابق، ص٤٩.
٢- ابن خلدون. المقدمة. ج١، ص٣٧.
٣- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٤.
٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٤.

يقتضيه حال الفعل، وهو محتاج إلى الدلالة عليه؛ لأنه من تمام الإفادة. وإذا حصلت للمتكلم، فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه. وإذا لم يشتمل منها على شيء، فليس من جنس كلام العرب. فإن كلامهم واسع، ولكل مقام عندهم مقال يختص به، بعد كمال الإعراب والإبانة».[١]

كما نجده يشير، في سياق حديثه عن موضوع علم البيان، إلى دلالة الالتزام التي عليها مدار البلاغة، والتي عبر عنها عبد القاهر الجرجاني بـ«معنى المعنى»،[٢] وجعل مدارها على الكناية والاستعارة والتمثيل، حيث ينبه على أن المتكلم قد يستعمل لفظا مفردا ولا يريد منطوقه، وإنما يريد لازمه، أو قد يستعمل لفظا مركبا للدلالة على ملزومه.[٣]

ثم إن من كمال الإفادة وتمامها، العبارة عن هذه المعاني جميعها بألفاظ مخصوصة، وبكلام حسن. أما الألفاظ المخصوصة التي لا يكون الكلام بليغا بعد مطابقته مقتضى الحال إلا بها، فهي الألفاظ الفصيحة. ولذلك، نجد البلاغيين يعرّفون بلاغة الكلام بأنه «مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته».[٤] والشرط نفسه

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٤. ويقول أيضا: «فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع. وهذا هو معنى البلاغة». المرجع السابق، ج٣، ص٢٥٠. وانظر أيضا: ج٣، ص٢٤٤، ٢٦٤. ومعلوم أن البلاغيين العرب جعلوا مطابقة الكلام لمقتضى الحال من أهم شروط البلاغة، حتى لا تكاد تعريفاتهم للبلاغة تخلو منه. انظر: القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ج١، ص٤١. التفتازاني. المطول شرح تلخيص المفتاح. ص١٦.

٢- الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز. قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة / دار المدني، جدة، ط٣، ١٤١٣ / ١٩٩٢م، ص٢٦٢، ٢٦٣. وانظر أيضا: الرازي، فخر الدين. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. تحقيق ودراسة: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥، ص٨٨.

٣- يقول ابن خلدون: «ثم قد تدل باللفظ ولا تريد منطوقه، وتريد لازمه، إن كان مفردا كما تقول: «زيد أسد»، ولا تريد حقيقة الأسد المنطوقة، وإنما تريد شجاعته اللازمة، وتسندها إلى زيد. وتسمى هذه «استعارة». وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه، كما تقول: «زيد كثير رماد القدر»، وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيوف... وهذه كلها دلالات زائدة على دلالات الألفاظ المفرد والمركب». المقدمة، ج٣، ص٢٤٥.

٤- القزويني. الإيضاح في علوم البلاغة. ج١، ص٤١.

يضعونه حين يعرفون الفصاحة؛ إذ يقولون إنها «ملكة يقتدر بها على التعبير عن المقصود بلفظ فصيح».[١] فلا يكتفون باشتراط مطابقة الكلام للمقام دون زيادة اعتبار الفصاحة. كما لا يكتفون باشتراط التعبير عن المقصود دون زيادة اعتبار الفصاحة في اللفظ المعبر به عن هذا المقصود.

وهذا ما يفسر عناية ابن خلدون باللفظ، وتأكيده أن صناعة الكلام نظما ونثرا إنما هي في الألفاظ لا في المعاني، وأن نظم الكلام للعبارة عن المعاني هو المحتاج إلى الصناعة لا المعاني ذاتها. ولذلك، نجد أن «الصانع الذي يحاول ملكة الكلام في النظم والنثر إنما يحاولها في الألفاظ بحفظ أمثالها من كلام العرب ليكثر استعماله وجريانه على لسانه».[٢] والسبب في ذلك، هو أن الملكة البلاغية ملكة من ملكات اللسان كما قلنا، واللسان «ملكة من الملكات في النطق يحاول [الإنسان] تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل، شأن الملكات. والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ، وإنما المعاني في الضمائر. وأيضا فالمعاني موجودة عند كل أحد، وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى، فلا يحتاج إلى تكلف صناعة في تأليفها».[٣]

ولذلك ينصح الناظم بتجنب «الحوشي من الألفاظ والمقعر، وكذلك السوقي المبتذل بالتداول في الاستعمال، فإنه ينزل بالكلام عن طبقة البلاغة».[٤]

ولا يكتفي ابن خلدون بدعوة الشعراء إلى استعمال الألفاظ الجزلة المتوسطة، وإنما يدعوهم كذلك إلى استعمال «الأفصح من التراكيب»،[٥] وإلى

١- المرجع السابق، ج١، ص٤٠.
٢- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٩٠.
٣- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٠.
٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٧.
٥- المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٦.

تجنب «المعقد» منها.[1]

بل إن المتكلم البليغ عنده، لا يكتفي بتحقق شرط كمال الإفادة، وإنما يتجاوزه إلى أن يجعل كلامه حسنا لذيذا رائقا، حتى يرقى إلى مرتبة الكلام «المطبوع». وهو الكلام «الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله بالمقصود منه، لأنه عبارة وخطاب ليس المقصود منه النطق فقط، بل المتكلم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة ويدل به عليه دلالة وثيقة، ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجية التي له بالأصالة ضروب من التحسين والتزيين بعد كمال الإفادة. وكأنها تعطيها رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع، والموازنة بين جمل الكلام، وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام، والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه، والمطابقة بين المتضادات ليقع التجانس بين الألفاظ والمعاني، فيحصل للكلام رونق ولذة في الأسماع وحلاوة وجمال كلها زائدة على الإفادة».[2]

وبالجملة، إن الملكة البلاغية تشترك مع الملكة اللسانية في كونها تعني قدرة المرء على التعبير عن المعاني الكامنة في نفسه وإظهارها، لكنها تفترق عنها بكون هذا التعبير إنما يكون بألفاظ فصيحة، وبكلام حسن، مع مراعاة مقتضى الحال.

٢- طبيعة الملكة البلاغية عند ابن خلدون

يميز ابن خلدون تمييزا واضحا بين الملكة والصناعة؛ حيث يرى أن الملكة غير العلم وغير قوانينه ومبادئه. ويؤكد أن حصول الملكة لا يتحقق بالإحاطة بقوانين العلم؛ بل إن القانون العلمي متأخر، عنده، عن الملكة، فهو يستفاد منها.[3] وهذا يعني أن الملكة متقدمة على العلم، وأن الإحاطة بقوانين العلم ليست شرطا

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٦.
٢- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٧.
٣- يقول ابن خلدون: «والصنائع أبدا يحصل عنها وعن ملكتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة». المقدمة. ج٢، ص٣٣٢.

لحصول الملكة، كما أنها ليست كافية لاكتسابها. وإنما تكتسب الملكة بالتعلم والمران والتكرار، أي أنها تحصل عن الارتياض التام في تصور العلم.[١]

وبالمقابل، يؤكد أن الملكة شرط الإحاطة بقوانين العلم، وشرط الحذق في العلم. وهذا يعني أن الملكة أصل، وأن ما عدا ذلك فرع. يقول ابن خلدون: «وذلك أن الحذق في العلم واليقين فيه والاستيلاء عليه إنما هو بحصول ملكة في الإحاطة بمبادئه وقواعده والوقوف على مسائله واستنباط فروعه من أصوله. وما لم تحصل هذه الملكة لم يكن الحذق في ذلك الفن حاصلا».[٢]

وكما أن الملكة غير العلم وغير قوانينه ومبادئه، فهي أيضا غير الفهم والوعي. ودليله على ذلك، أننا قد «نجد فهم المسألة الواحدة من الفن الواحد مشتركا بين من شدا في ذلك الفن ومن هو مبتدئ فيه، وبين العامي الذي لم يحصل علما وبين العالم النحرير. والملكة إنما هي للعالم والشادي في الفنون دون من سواهما».[٣]

ومن ثمة، يقرر أن ملكة اللسان العربي غير النحو أو صناعة العربية، «والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة. فهو علم بكيفية، لا نفس كيفية. فليست نفس الكيفية، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علما ولا يحكمها عملا».[٤] ويستدل على ذلك بكون العلم بقوانين الإعراب، لا يحمي من الوقوع في الزلل. ولذلك، قد تجد كثيرا ممن يحيط علما بهذه القوانين، إذا كتب كلاما أخطأ فيه الصواب، وأكثر فيه من اللحن.[٥]

١- ابن رشد، أبو الوليد. كتاب سوفسطيقى أو كتاب المغالطة. ضمن كتاب: نص تلخيص منطق أرسطو، مج٧، ص٧٠٥.
٢- ابن خلدون. المقدمة. ج٢، ص٣٥٠.
٣- المرجع السابق، ج٢، ص٣٥٠. غير أن هذا الكلام لا يعني استبعاد ابن خلدون الفهم من الملكة، فهو يؤكد أن الفهم شرط حصول الملكة بالحفظ. ج٣، ص٢٤٨.
٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦١.
٥- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٢.

كما يؤكد أن الملكة البلاغية غير صناعة البلاغة وغير قوانينها. وذلك لأن هذه الملكة «إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تراكيبه. وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها».[1]

ويميز ابن خلدون بين حصول ملكة البلاغة أو الذوق للسان، وهي ملكة العبارة عن المعنى عبارة كاملة تامة، وبين حصول هذه الملكة في قوانين علم البلاغة، أي حصول العلم بتلك القوانين.[2] وحصول العلم بقوانين علم البلاغة ومبادئها لا يكفي لحصول ملكة البلاغة للسان. فكما أن إتقان قوانين علم النحو لا يمنع من الوقوع في اللحن، فإن إتقان قوانين علم البلاغة لا يكفي لجعل المرء قادرا على إنشاء الكلام البليغ، أو على التمييز بين جيده ورديئه. يقول ابن خلدون: «ولا تقولن إن معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك، لأننا نقول: قوانين البلاغة إنما هي قواعد علمية قياسية تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس، وهو قياس علمي صحيح مطرد كما هو قياس القوانين الإعرابية، وهيئة

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٥. ويقول في الموضع نفسه: «لو فرضنا صبيا من صبيانهم (أي صبيان العرب) نشأ وربا في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستولي على غايتها، وليس من العلم القانوني في شيء، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه. وكذلك تحصل هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطبهم والمداومة على ذلك، بحيث تحصل الملكة ويصير كواحد ممن نشأ في جيلهم وربا بين أحيائهم. والقوانين بمعزل عن هذا». ويمكن الاستدلال على ما يقوله ابن خلدون بما يرويه المرزباني وغيره، من أن طرفة لما كان صبيا، سمع يوما، وهو يلعب مع الصبيان، المسيَّب بن علس يقول:

وقدْ أَتَنَاسَى الهمَّ عندَ ادِّكَاره بناج عليه الصَّيْعَرِيةُ مُكدَم

فقال: استنوق الجمل. وهو يقصد أن المسيب كان في صفة جَمل، فلما قال «الصيعرية»، خرج إلى ما توصف به النوق، لأن «الصيعرية» ميسم للإناث؛ فهي سمة تعلق في عنق الناقة لا في عنق الجمل. انظر: المرزباني، أبو عبيد الله محمد. الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ت)، ص٩٣.

٢- يقول ابن خلدون: «وربما يدعي كثير ممن ينظر في هذه القوانين البيانية حصول هذا الذوق له بها، وهو غلط أو مغالطة. وإنما حصلت له الملكة، إن حصلت، في تلك القوانين البيانية، وليست من ملكة العبارة في شيء». المقدمة. ج٣، ص٢٦٧. والملكة هنا بمعنى العلم؛ أي حصل له العلم بتلك القوانين.

الأساليب التي نحن نقررها ليست من القياس في شيء. إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب بجريانها على اللسان حتى تستحكم صورتها، فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر.. وإن القوانين العلمية من الإعراب أو البيان، لا تفيد تعليمه بوجه».(١)

وهكذا، يتبين أن إتقان قوانين علم البيان والإحاطة بها، إنما يكون بمخالطة هذا العلم، وبالإقبال على تعلم مبادئه. أما حصول ملكة البلاغة، فلا يكون بذلك، وإنما يتحقق بالسمع، فهو أصل الملكة اللسانية، وأصل الملكة البلاغية.(٢) وهذا يعني أنها تتحقق بمخالطة لغة العرب وأساليبهم، وباستعمالها في مخاطباتهم، وبحفظ الجيد من كلامهم شعرا ونثرًا. وهذا ما يؤكده ابن خلدون، ويلح عليه في مواضع عديدة، منها قوله: «وهذه الملكة، كما تقدم، إنما تحصل بممارسة كلام العرب وتكرره على السمع، والتفطن لخواص تركيبه، وليست تحصل بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهل صناعة البيان، فإن هذه القوانين إنما تفيد علما بذلك اللسان، ولا تفيد حصول الملكة بالفعل في محلها».(٣)

ولما كان كلام العرب طبقات، فمنه العالي الطبقة، ومنه المتوسط، ومنه القريب،(٤) وكانت الملكات، بحسب ما قلناه سابقا، (كيفيات)، والكيفيات،

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٢-٢٨٣.

٢- يقول ابن خلدون: «السمع أبو الملكة اللسانية». المرجع السابق، ج٣، ص٢٣٧.

٣- المرجع السابق، ج٢، ص٢٦٥. ويقول أيضا: «ووجه التعليم لمن يبتغي هذه الملكة ويروم تحصيلها أن يأخذ نفسه بحفظ كلامهم القديم الجاري على أساليبهم من القرآن والحديث، وكلام السلف، ومخاطبات فحول العرب في أسجاعهم وأشعارهم، وكلمات المولّدين أيضا في سائر فنونهم حتى يتنزل لكثرة حفظه لكلامهم من المنظوم والمنثور منزلة من نشأ بينهم ولُقّن العبارة عن المقاصد منهم... فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال، وتزداد بكثرتها رسوخا وقوة». المرجع السابق، ج٣، ص٢٥٩. وانظر أيضا: ج٣، ص٢٦٣، ٢٦٤، ٣٤٤.

٤- الخطابي، أبو سليمان حمد. رسالة بيان إعجاز القرآن. ضمن كتاب: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨، ص٢٦.

بحسب المناطقة، مما يقبل الأكثر والأقل، والأشد والأضعف،[1] تفاوتت ملكات الناس في البلاغة بحسب تفاوت الكلام الذي خالطوه وحفظوه واستعملوه؛ إذ «على نسبة الأصل تكون الملكة»،[2] و«على قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرته من قلته تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للحافظ... وعلى مقدار جودة المسموع أو المحفوظ تكون جودة الاستعمال من بعده ثم إجادة الملكة من بعدهما. فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ترتقي الطبقة الحاصلة».[3]

وانسجاما مع هذا المبدأ، رأى ابن خلدون أن كلام الإسلاميين، شعرا ونثرا، مقدم على كلام الجاهليين، وذلك لأنه أعلى طبقة في البلاغة. وسبب ذلك هو «أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام في القرآن والحديث؛ فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة عن ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليها، فكان كلامهم في نظمهم ونثرهم أحسن ديباجة وأصفى رونقا من أولئك، وأرصف مباني وأعدل تثقيفا بما استفادوه من الكلام العالي الطبقة».[4]

أما العلماء، فكلهم، في نظره، قاصرون في البلاغة، مفتقرون إلى ملكة البلاغة العالية الطبقة، عاجزون عن نظم الشعر الجيد، ولهذا انتقص من شاعريتهم، وقلل من القيمة الفنية لشعرهم. يقول ابن خلدون: «فملكة البلاغة العالية الطبقة في جنسها إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام. ولهذا كان الفقهاء وأهل العلم كلهم قاصرين في البلاغة، وما ذلك إلا لما يسبق إلى محفوظهم وتمتلئ به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب

١- ابن حزم الأندلسي. التقريب لحد المنطق. ص٣٨٩. ابن رشد. كتاب قاطيغورياس أو كتاب المقولات. ص٥١.
٢- ابن خلدون. المقدمة. ج٢، ص٢٨٠.
٣- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٢.
٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٥.

البلاغة. فإذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلونت به النفس، جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور، وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم. وهكذا نجد شعر الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلئ من حفظ النقي الحر من كلام العرب». [١]

ثانيا: الملكة البلاغية بين الذوق والطبع

١- الملكة البلاغية والذوق

يقول ابن خلدون محددا معنى الذوق: «اعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعنيون بفنون البيان، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان». [٢]

وهذا يعني أن الذوق هو الملكة البلاغية الراسخة في النفس، الناشئة عن حفظ كلام العرب واستعماله. ولهذا، استعار البلاغيون، كما يقول ابن خلدون، لفظ الذوق للملكة البلاغية عندما ترسخ في لسان العربي وتستقر، من قِبل أن «الذوق إنما هو موضوع لإدراك الطعوم، لكن لما كان محل هذه الملكة في اللسان من حيث النطق بالكلام كما هو محل لإدراك الطعوم، استعير لها اسمه. وأيضا فهو وجداني للسان، كما أن الطعوم محسوسة له». [٣]

وللذوق، بحسب ابن خلدون، وظيفتان؛ إحداهما إنشائية إبداعية، والثانية وصفية نقدية. فالأولى، تتجلى في كون الذوق، أو ملكة البلاغة في اللسان، هو الذي يمكن المرء من إنتاج الكلام البليغ. أما الثانية، فتتجلى في كونه يؤهله ليكون ناقدا مبرزا، بصيرا بأسرار الكلام ولطائفه. يقول ابن خلدون: «ملكة البلاغة في اللسان هي التي تهدي البليغ إلى وجوه النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٣.
٢- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٦٤.
٣- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٥- ٢٦٦.

العرب في لغتهم ونظم كلامهم. ولو رام صاحب هذه الملكة حيدا عن هذا السبيل المعينة والتراكيب المخصوصة لما قدر عليه، ولا وافقه عليه لسانه، لأنه لا يعتاده ولا تهديه إليه ملكته الراسخة عنده. وإذا عرض عليه الكلام حائدا عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرض عنه ومجه، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارس كلامهم». [١]

وما دام نظم الكلام الجيد البليغ تهدي إليه ملكة البلاغة في اللسان، بتعبير ابن خلدون، مبنيا على الذوق، بتعبير البلاغيين العرب، [٢] احتاج ابن خلدون أن يجعل هذا الذوق حاكما على الكلام، ومعيارا للتمييز بين جيده ورديئه، لأن ما بني على الذوق يحتاج إلى الذوق من أجل إدراك محاسنه، ومواضع الجودة فيه.

من هنا، احتكم إليه لنقد أشعار المتنبي والمعري، وبيان أن شعرهما نازل عن طبقة الشعر. [٣] كما استند إليه للتمييز بين مطبوع الكلام ومتكلفه، [٤] وبين كلام الإسلاميين والجاهليين، والقول بأن كلام الإسلاميين من العرب أعلى طبقة من كلام الجاهليين. [٥]

بل إن ابن خلدون لا يكتفي بالقول بأن الذوق هو عمدة إدراك بلاغة كلام البشر، إنما يرتقي به ليجعله أصل إدراك بلاغة كلام الله سبحانه، وهي البلاغة التي

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٥.

٢- انظر: الخفاجي، ابن سنان. سر الفصاحة. تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤ / ١٩٩٤م، ص: ٢٧٤. ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج١، ص٦١.

٣- يقول ابن خلدون: «فكأن شعرهما كلام منظم نازل عن طبقة الشعر، والحاكم في ذلك هو الذوق». المقدمة. ج٣، ص٢٨٧. ويقول أيضا: «كان الكثير ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظم المتنبي والمعري ليس من الشعر في شيء، لأنهما لم يجريا على أساليب العرب فيه». المرجع السابق، ج٣، ص٢٨٤.

٤- يقول ابن خلدون: «وهذا كله يدلك على أن الكلام المصنوع بالمعاناة والتكلف قاصر عن الكلام المطبوع، لقلة الاكتراث فيه بأصل البلاغة، والحاكم في ذلك الذوق». المرجع السابق. ج٣، ص٣٠٠.

٥- المرجع السابق، ج٣، ص١٩٤.

يعجز العقل عن تصورها وفهمها، حيث يؤكد أن سبيل إدراك إعجاز القرآن هو الذوق، وأن صاحب الذوق «يدرك من إعجازه على قدر ذوقه. فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاما في ذلك لأنهم فرسان الكلام وجهابذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصحه».[١]

والذوق الذي يتحدث عنه ابن خلدون قانون وجداني، ومعيار ذاتي فني، أو هو «إحساس نفساني»،[٢] بتعبير عبد القاهر الجرجاني، يحصله المرء «بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم».[٣] وهذا يعني أن هذا القانون يستند إلى منطق وجداني نفسي، وأنه لا يشبه القوانين الاستدلالية التي يُحتكم فيها إلى منطق العقل، والتي تستفاد بالاستنباط أو الاستقراء. وهي القوانين التي قد يستند إليها علماء النحو والبلاغة، للاحتجاج لأحكامهم وآرائهم.[٤]

لذلك، نجد صاحب الذوق قد تحصل له ملكة في نظم الكلام الجيد، وقد يسهل عليه أمر استعمال لغة العرب «حتى لا يكاد يخطئ فيه عن منحى البلاغة التي للعرب. وإن سمع تركيبا غير جار على ذلك المنحى مجّه ونبا عنه سمعُه بأدنى فكر، بل وبغير فكر، إلا بما استفاده من حصول هذه الملكة».[٥] كما أنه قد يستطيع بذوقه الوقوف على مواضع الجودة في الكلام، ويستطيع إدراك محاسن الكلام الخفية، ولطائفه الدقيقة.

إلا أنه رغم كل هذا، قد يعجر عن وصف معرفته، أو بيانها لغيره. كما قد يعسر عليه تعليل آرائه، والاحتجاج لأحكامه، لأن «معرفة الفصيح والأفصح،

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٤٧. وانظر: السكاكي، أبو يعقوب يوسف. مفتاح العلوم. ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٧م، ص٤١٦.
٢- عبد القاهر الجرجاني. دلائل الإعجاز. ص٥٤٦ وما بعدها.
٣- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٦٥.
٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٥.
٥- المرجع السابق، ج٣، ص٢٦٤.

والرشيق والأرشق من الكلام أمر لا يدرك إلا بالذوق، ولا يمكن إقامة الدلالة عليه».[١] من هنا، رأى البلاغيون أن الناقد ينبغي أن يسلّم له فيما يقوله، وألا ينازع فيه، لأن إدراك جودة الكلام من الأمور التي تحيط بها المعرفة، ولا تؤديها الصفة.[٢]

٢. الملكة البلاغية والطبع

ميز ابن خلدون بين الطبع والصنعة،[٣] فذهب إلى أن «الكلام المصنوع بالمعاناة والتكلف قاصر عن الكلام المطبوع».[٤] واستحسن، بالمقابل، الكلام المطبوع، لأنه الكلام الذي «كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله بالمقصود

١- السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ص٧٧٢. ويقول التهانوي: «الذوق عند البلغاء هو محرك القلوب والباعث على الوجد الذي لا تراعى فيه الشاعرية. وهي من خصائص العزلة والعشق الخالص، وهو أمر وجداني. وثمة إجماع على ذلك، بحيث لا يستطيع وصفه كما لا توصف حلاوة السّكر وما يشابهها من الأمور الوجدانية، ولكنّ الاتفاق حاصل على تلك الحلاوة، وكذا في جامع الصنائع». كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. ج١، ص٨٣٤. والرأي نفسه نجده عند أغلب النقاد والبلاغيين، حيث يمكن القول إنه ثمة إجماع على أن أحكام الذوق السليم لا توصف، ولا يُقام عليها دليل، ولا يُنتهى فيها إلى إثبات جازم. انظر مثلا: ابن سلام الجمحي، محمد. طبقات فحول الشعراء. قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د. ت)، ج١، ص٥-٧. الآمدي، أبو القاسم الحسن. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، (د. ت)، ص٤١٥. ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج١، ص٣٠١. بل إن عبد القاهر الجرجاني، الذي دعا في أول دلائل الإعجاز إلى ضرورة تقنين أحكام الذوق بتعليلها والاستدلال عليها، قائلا: «وجملة ما أردت أن أبينه لك: أنه لابد لكل كلام تستحسنه، ولفظ تستجيده، من أن يكون لاستحسانك ذلك جهة معلومة وعلة معقولة، وأن يكون لنا إلى العبارة عن ذاك سبيل، وعلى صحة ما ادعيناه دليل». دلائل الإعجاز. ص٤١. عاد في آخره ليقر بصعوبة تحقيق هذه الغاية، فقال: «إن المزايا التي تحتاج أن تعلمهم مكانها وتصور لهم شأنها، أمور خفية، ومعان روحانية، أنت لا تستطيع أن تنبه السامع لها، وتحدث له علما بها». المرجع السابق، ص٥٤٧.

٢- الآمدي. الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. ج١، ص٤١٤.

٣- يميز ابن خلدون، كما يميز غيره، بين ضربين من الصنعة، الأولى تكون قليلة وعفوية، وهي محمودة. والثانية فيها معاناة وقصد وتعمد، وهي مذمومة. وهي التي يعبر عنها بالتكلف والتعسف. ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٩٩-٣٠٠.

٤- المرجع السابق، ج٣، ص٣٠٠.

منه»،[١] ولأنه برئ من التكلف وسلم من عيب الاستهجان.[٢] وإذا كانت البلاغة، بحسب ابن خلدون، هي «أصل الكلام العربي وسجيته وروحه وصيغته»،[٣] فإن أصل البلاغة هو الطبع.[٤]

ذلك بأن الطبع، بحسب البلاغيين العرب الذين يستقي ابن خلدون منهم آراءه في البلاغة، هو عمود البلاغة، ودعامة الكلام.[٥] أما الصنعة فهي طارئة، وتكون مذمومة حين ترتبط بالقصد والكثرة، لأنها تدل على التكلف، وترتبط بالتعسف، ولذلك عابوها أشد العيب.[٦]

١- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٧.
٢- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٩.
٣- المرجع السابق، ج٣، ٢٩٧.
٤- المرجع السابق، ج٣، ص٢٩٩، ٣٠٠.
٥- يقول ابن المظفر الحاتمي: «الطبع الذي هو دعامة المنطق». ابن المظفر الحاتمي، أبو علي محمد. حلية المحاضرة في صناعة الشعر. تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٧٩، ج١، ص١٢٣. ويقول الجاحظ: «رأس الخطابة الطبع». الجاحظ، أبو عثمان عمرو. البيان والتبيين. تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د. ت)، ج١، ص٤٤. ويقول علي بن خلف: «محل الطبع من صناعة تأليف التأليف محل الأس من البنيان، والقلب من الجثمان». ابن خلف الكاتب، علي. مواد البيان. تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣م، ص٢٧١.
٦- يقول القاضي الجرجاني: «ومع التكلف المَقْتُ، وللنفس عن التصنّع نُفْرة، وفي مفارقة الطبع قلةُ الحلاوة وذهابُ الرونق، وإخلاقُ الديباجة». القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز. الوساطة بين المتنبي وخصومه. تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت، (د. ت)، ص١٩. ويقول ابن رشيق القيرواني: «ومن الشعر مطبوع ومصنوع، فالمطبوع هو الأصل الذي وضع أولا، وعليه المدار. والمصنوع وإن وقع عليه هذا الاسم، فليس متكلّفا تكلف أشعار المولّدين، لكن وقع فيه هذا النوع الذي سموه صنعة من غير قصد ولا تَعمُّل، لكن بطباع القوم عفوا، فاستحسنوه ومالوا إليه بعض الميل... واستطرفوا ما جاء من الصنعة نحو البيت والبيتين في القصيدة بين القصائد، يستدل بذلك على جودة شعر الرجل، وصدق حسه، وصفاء خاطره، وأما إذا كثر ذلك؛ فهو عيب، يشهد بخلاف الطبع، وإيثار الكلفة». ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن. العمدة في محاسن الشعر وآدابه. تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج١، ص٢٥٨-٢٦١. أما أسامة بن منقذ، فجعل التكلف مرادفا للتعسف، فقال: «التكلف والتعسف، وهو الكثير من البديع كالتطبيق والتجنيس في القَصْد، لأنه يدل على تكلف الشاعر لذلك وقَصْده إليه. وإذا كان قليلا نُسب إلى أنَّه طبْعٌ في الشاعر». ابن مَنقذ، أسامة. البديع في نقد الشعر. تحقيقَ: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م، ص٢٣٦-٢٣٧.

ولعله من هذا المنطلق، نجد ابن خلدون يقرر، رغم تأكيده، في أكثر من موضع، أن ملكة اللسان تفتقر إلى التعليم، أن المرء المقبل على تحصيل هذه الملكة محتاج إلى «سلامة الطبع».[١]

بل إنه يذهب في الانتصار للطبع إلى أبعد من هذا، وذلك حين يمجد الفكر الطبيعي الذي فطر عليه الإنسان، ويدعو إلى اعتماد الحجاج الطبيعي، بحجة أن ما هو صناعي ما هو إلا تجلّ لما هو طبيعي. يقول ابن خلدون: «فالمنطق إذا أمر صناعي مساوق للطبيعة الفكرية ومنطبق على صورة فعلها. ولكونه أمرا صناعيا استُغني عنه في الأكثر. ولذلك نجد كثيرا من فحول النُّظار في الخليقة يحصّلون على المطالب في العلوم دون علم صناعة المنطق، ولا سيما مع صدق النية والتعرض لرحمة الله تعالى، فإن ذلك أعظم معين. ويسلكون بالطبيعة الفكرية على سدادها، فتفضي بهم بالطبع إلى حصول الوسط والعلم بالمطلوب، كما فطرها الله عليه».[٢]

غير أن السؤال الذي يطرحه قارئ المقدمة هو: ما الطبع عند ابن خلدون؟ ذلك بأن الرجل رغم استعماله الطبع مرادفا للذوق في بعض المواضع، وذلك عند حديثه عن «الذوق الصحيح» و«الطبع السليم» بوصفهما شيئا واحدا،[٣] ينفي أن

١- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٥٩.

٢- المرجع السابق، ج٣، ص٢١٦. ويقول أيضا: «انبذ حجب الألفاظ وعوائق الشبهات، واترك الأمر الصناعي على جملة، واخلص إلى فضاء الفكر الطبيعي الذي فطرت عليه، وسرح نظرك فيه، وفرغ ذهنك للغوص على مرامك منه، واضعا قدمك حيث وضعها أكابر النظار قبلك، متعرضا للفتح من الله تعالى كما فتح عليهم من رحمته وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون». المرجع السابق، ص٢١٦-٢١٧. وانظر: طه عبد الرحمن. عن الاستدلال في النص الخلدوني. ضمن: أعمال ندوة ابن خلدون. منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨١، ص٥٧-٧١.

٣- ابن خلدون. المقدمة. ج٣، ص٢٥٣. وننبه هنا على أن الذوق والطبع عند القدماء مترادفان. ولذلك نجدهم كثيرا ما يجمعون في حديثهم بين «الذوق السليم»، و«الطبع الصحيح» أو «المستقيم»، أو غير ذلك من العبارات. انظر على سبيل المثال: ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد. عيار الشعر. تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص٥. السكاكي. مفتاح العلوم. ص٣٠١. الكفوي، أبو البقاء أيوب. الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، ص٣٨٦. وانظر أيضا: ابن عاشور، محمد الطاهر. شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام. تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، ص٦٨-٦٩.

تكون الملكة اللسانية طبعا، ويسخر ممن ظن أن العرب كانت تتكلم بالطبع.[١]

فكيف يكون حصول ملكة البلاغة للسان ذوقا ولا يكون طبعا؟ أيدل هذا على وجود تناقض في كلام ابن خلدون؟

إن الجواب عن السؤال الثاني إنما هو بالنفي، ذلك بأن الطبع الذي يتحدث عنه ابن خلدون هنا، وينفي أن يكون مرادفا لحصول الملكة اللسانية، إنما هو الطبع بمعناه في اللغة، وهو الذي يعني «الخليقة والسَّجية التي جُبِلَ عليها الإنسان»،[٢] أي الطبع الفطري الغريزي الساذج. وهو الذي سماه الجاحظ «الطبع الأول».[٣] أما الطبع الذي يرادف الذوق، والذي يمكن القول إنه يدل على ما يدل عليه لفظ الذوق من حصول ملكة البلاغة للسان، فهو «الطبع الثاني» الذي يحصل بالاكتساب والعادة.[٤] أي هو الطبع «المهذّب الذي قد صقله الأدب، وشحذته الرواية، وجلَته الفطنة».[٥] وهو الذي سماه ابن الأثير «ذوق التعليم».[٦]

لقد ذهب البلاغيون العرب إلى أن للبلاغة آلات، أولها «جودة القريحة»،[٧] أو «الطبع».[٨] وهذا يعني أن المرء المقبل على تحصيل ملكة البلاغة محتاج إلى

١- يقول ابن خلدون: «فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها، ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل. ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات أن الصواب للعرب في لغتهم إعرابا وبلاغة أمر طبيعي. ويقول: "كانت العرب تنطق بالطبع". وليس كذلك. وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت، فظهر في بادي الرأي أنها جبلة وطبع». المقدمة. ج٣، ص٢٦٤.

٢- ابن منظور الإفريقي، جمال الدين. لسان العرب. دار صادر، بيروت، (د. ت)، مادة: طبع.

٣- الجاحظ، أبو عثمان عمرو. رسالة المعاش والمعاد أو الأخلاق المحمودة والمذمومة. ضمن: رسائل الجاحظ. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩، ج١، ص٩٧.

٤- المرجع السابق، ج١، ص٩٧.

٥- القاضي الجرجاني. الوساطة بين المتنبي وخصومه. ص٢٥.

٦- ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج١، ص٣٥.

٧- العسكري، أبو هلال الحسن. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر. تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٤ / ٢٠١٣م، ص٢٤.

٨- ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ج١، ص٣٨.

الطبع الفطري، أي محتاج إلى «ملكة أولى»،[1] بتعبير ابن خلدون، أو «قوة هَيولانية»[2] بتعبير المتكلمين القدماء في الطبيعيات، وهي عبارة عن استعداد طبيعي فطري، أو «قدرة ساذجة»،[3] تهيئ المرء لتحصيل الملكة البلاغية. غير أنه بعد تحصيلها بالتعلم والاكتساب، تصبح البلاغة ملكة راسخة، وطبعا ثانيا مكتسبا، وقوة في تأليف الكلام ونقده. أي أنها تصبح «كمالا»، بعدما كانت «استعدادا».[4]

١- يقول ابن خلدون: «وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع، أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم ولم يأخذوها من غيرهم». المقدمة. ج٣، ص٢٥١.

٢- يقول الشهرستاني: «إن النفس الإنسانية لها قوة هيولانية، أي استعداد لقبول المعقولات بالفعل». الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم. الملل والنحل. حققه وقدم له: سعيد الأفغاني، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٣، ص٦٣٣.

٣- يطلق ابن سينا لفظ «القدرة الساذجة» على تلك القوة التي قد توجد في كل إنسان، والتي تحتاج إلى التعلم والتكرار لتصبح ملكة نفسانية. انظر: ابن سينا. السفسطة، من كتاب الشفاء، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: إبراهيم مدكور، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م، ص٢٨.

٤- يميز الغزالي في الكيفيات غير المحسوسة بين كيفيات تكون استعدادا لأمر آخر، مثل: قوة الذاكرة والصلابة والمصاحبة، وغيرها من القوى الطبيعية. وكيفيات لا تكون استعدادا لغيرها، وإنما هي كمالات تساعد على بلوغها الكيفيات الأولى. وذلك مثل العلم والصحة. انظر: الغزالي. معيار العلم. ص٣٢٠.

الخاتمة

نخلص مما سبق، إلى جملة من النتائج العلمية والتربوية، نوجزها فيما يأتي:

- إن اكتساب الملكة اللسانية لا يتحقق بتعليم الناشئة قواعد اللغة العربية من نحو وصرف وإعراب، لأن الملكة غير قواعد اللغة، وغير قوانين النحو والصرف، وإنما يتحقق بمخالطة اللسان العربي، وباستعماله مرة بعد مرة، حتى يعتاده المتعلم، فيصير قوة ملازمة له لا تفارقه، تحمله على التكلم باللغة العربية الفصيحة الصحيحة حملا.

وما قلناه عن الملكة اللسانية، نقوله عن الملكة البلاغية التي هي أخص. فنؤكد أن الطريق إلى اكتساب الملكة البلاغية التي تجعل المرء قادرا على نظم الكلام البليغ، سواء كان شعرا أو نثرا، ليس هو دراسة قوانين الشعر، ولا هو إتقان قواعد النثر فحسب، وإنما هو، أولا، حفظ كلام العرب القديم منظومه ومنثوره، وحفظ القرآن الكريم والحديث النبوي، وما جرى على أساليب العرب القدماء من كلام المحدثين. أما الاكتفاء بتعليم قوانين البلاغة فلا يفيد المتعلم شيئا، لأنه لا يكسبه قدرة على إنشاء الكلام البليغ، ولا يمكّنه من التمييز بين جيد الكلام ورديئه، ولا من القدرة على إدراك مواضع الجودة فيه.

- إن الملكة البلاغية بعد اكتسابها بالتعلم والحفظ والارتياض على استعمال الكلام العربي الفصيح، تصبح صفة راسخة ثابتة، يعسر زوالها. كما أنها تتحول إلى سلطة تستبد بمن اكتسبها، وتتحكم فيه، وتمارس عليه نوعا من القوة الباطنية؛ حتى إنها تحمِله على ملازمة الكلام العربي البليغ.

- لا شك في أن تحصيل الملكة البلاغية يحتاج إلى توفر عاملين؛ أولهما:

الاستعداد الذاتي، والطبع السليم. وهذا العامل يكاد يكون مشتركا بين الناس جميعهم. والثاني: التعليم الجيد المفيد، وهذا التعليم لن يكون جيدا ومفيدا إلا إذا كان قائما على التدريج، وتفادى القائم به التخليط على المتعلم بكثرة الاصطلاحات والتقسيمات. وهذا لن يتأتى إلا بإيلاء ما يسميه ابن خلدون «صناعة تعْليم العِلم» المزيد من العناية، وذلك لافتقار تعليم أي ملكة أو عِلم إلى معلّمين مؤهلين لأداء هذه المهمة.

- رأى بعض الباحثين المعاصرين أن ابن خلدون أبطل الموهبة حين ركز على الحفظ، وجعله الطريق الوحيد لتحصيل الملكة البلاغية. والحق أنه لم يلغ الموهبة الفردية، ولا أدل على ذلك من إقراره بضرورة امتلاك المرء الملكة الأولى، التي هي بمثابة القوة الطبيعية الفطرية التي تهيئه لتحصيل الملكة البلاغية بالحفظ؛ إذ بدون هذه القوة، لا يمكن للمرء أن يكون بليغا قادرا على تأليف الكلام البليغ، حتى وإن حفظ شعر العرب، وخالط كلامهم.

مصادر البحث ومراجعه

- أعمال ندوة ابن خلدون. طه عبد الرحمن وآخرون، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ١٩٨١.
- الإتقان في علوم القرآن. السيوطي، جلال الدين، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، تعليق: مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- الإيضاح في علوم البلاغة. الخطيب القزويني، جلال الدين، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط٣، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.
- البديع في نقد الشعر. ابن منقذ، أسامة، تحقيق: أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة: إبراهيم مصطفى، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦٠م.
- البيان والتبيين. الجاحظ، أبو عثمان عمرو، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، (د. ت).
- التعريفات. الشريف الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار النفائس، بيروت، ط٢، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية. ابن حزم الأندلسي، أبو محمد علي، تحقيق: عبد الحق التركماني، دراسة وتقديم: أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري، دار ابن حزم، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- التوقيف على مهمات التعاريف. ابن المناوي، عبد الرؤوف، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.
- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن. الخطابي، أبو سليمان حمد، وآخران، تحقيق: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٨.
- حاشية الدسوقي على شرح السعد. الدسوقي، محمد بن محمد عرفة. ضمن: شروح التلخيص، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ت).
- حلية المحاضرة في صناعة الشعر. ابن المظفر الحاتمي، أبو علي محمد، تحقيق: جعفر الكتاني، دار الرشيد للنشر، العراق، ١٩٧٩.

- دلائل الإعجاز. الجرجاني، عبد القاهر، قرأه وعلق عليه: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة / دار المدني، جدة، ط٣، ١٤١٣ / ١٩٩٢م.
- رسالة التنبيه على سبيل السعادة. الفارابي، أبو نصر، تحقيق: سحبان خليفات، منشورات الجامعة الأردنية، عمان، ط١، ١٩٨٧.
- رسائل الجاحظ. الجاحظ، أبو عثمان عمرو، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩.
- سر الفصاحة. الخفاجي، ابن سنان، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤ / ١٩٩٤م.
- الشرح الكبير لمقولات أرسطو. ابن الطيب البغدادي، أبو الفرج، تحقيق: علي حسين الجابري، دار التكوين، دمشق، ٢٠١٠.
- شرح المقدمة الأدبية لشرح المرزوقي على ديوان الحماسة لأبي تمام. ابن عاشور، محمد الطاهر، تحقيق: ياسر بن حامد المطيري، مكتبة دار المنهاج، الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- الشفاء. ابن سينا، أبو علي، تحقيق: أحمد فؤاد الأهواني، مراجعة: إبراهيم مدكور، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٣٧٧هـ/ ١٩٥٨م.
- الصناعتين الكتابة والشعر. العسكري، أبو هلال الحسن، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ١٤٣٤ / ٢٠١٣م.
- طبقات فحول الشعراء. ابن سلام الجمحي، محمد، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، (د. ت).
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. العلوي، يحيى بن حمزة، تحقيق: الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣١ / ٢٠١٠م.
- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح. السبكي، بهاء الدين، تحقيق: خليل إبراهيم خليل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه. ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، تحقيق: محمد قرقزان، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

- عيار الشعر. ابن طباطبا العلوي، أبو الحسن محمد، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. التهانوي، محمد علي، تحقيق: علي دحروج، تقديم وإشراف ومراجعة وترجمة: رفيق العجم، عبد الله الخالدي، جورج زيناتي، مكتبة لبنان ناشرون، لبنان، ط١، ١٩٩٦.
- الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، الكفوي، أبو البقاء أيوب، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.
- لسان العرب. ابن منظور الإفريقي، جمال الدين، دار صادر، بيروت، (د. ت).
- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. ابن الأثير، ضياء الدين، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، القاهرة، ط٢، (د. ت).
- المطول شرح تلخيص المفتاح. التفتازاني، سعد الدين، صححه وعلق عليه: أحمد عزّو عِناية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (د. ت).
- معيار العلم. الغزالي، أبو حامد، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ١٩٦١.
- مفتاح العلوم. السكاكي، أبو يعقوب يوسف، ضبطه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤٠٧ / ١٩٨٧م.
- المقابسات. التوحيدي، أبو حيان، تحقيق وتقديم: محمد توفيق حسين، دار الآداب، بيروت، ط٢، ١٩٨٩.
- المقدمة. ابن خلدون، عبد الرحمن، تحقيق: عبد السلام الشدادي، بيت الفنون والعلوم والآداب، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٥.
- الملل والنحل. الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم، حققه وقدم له: سعيد الأفغاني، منشورات الجمل، بيروت، ٢٠١٣.
- مواد البيان. ابن خلف الكاتب، علي، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشائر، دمشق، ط١، ١٤٢٤ / ٢٠٠٣م.

- الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري. الآمدي، أبو القاسم الحسن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط٤، (د. ت).
- الموشح، مآخذ العلماء على الشعراء في عدة أنواع من صناعة الشعر. المرزباني، أبو عبيد الله محمد، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر، القاهرة، (د. ت).
- النحو العربي واللسانيات المعاصرة - الائتلاف والاختلاف. صديقي، علي، وآخرون، تحرير وإشراف: مختار حسيني، تقديم: الطيب دبة، مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة، الأغواط - الجزائر، ط١، ١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م.
- نص تلخيص منطق أرسطو. ابن رشد، أبو الوليد، تحقيق: جيرار جيهامي، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٩٢.
- نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز. الرازي، فخر الدين، تحقيق ودراسة: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٥.
- الوساطة بين المتنبي وخصومه. القاضي الجرجاني، علي بن عبد العزيز، تحقيق وشرح: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، دار القلم، بيروت، (د. ت).

Sources and References:

- (A text Summarizing Aristotle's Logic). Ibn Rushd, Abu al-Walid, investigation: Gerard Gihami, Dar al-Fikr al-Lubnani, Beirut, first edition, 1992.
- (Alert Message as a Matter of Happiness) Al-Farabi, Abu Nasr, investigation: Sahban Khleifat, University of Jordan Publications, Amman, first edition, 1987.
- (Al-Jahez's Messages.) Al-Jahiz, Abu Othman Amr, investigation: Abdel Salam Muhammad Haroun, Al-Khanji Library, Cairo, second edition, 1979.
- (Al-Muwashah, Scholars' Responsibility on Poets in Several Kinds of Poetry Industry.) Al-Marzbani, Abu Obeid Allah Muhammad, investigation: Ali Muhammad Al-Bajawi, Egypt's Renaissance House, Cairo, undated.
- (Approximate the Limit of logic and the Entrance to it by Colloquial Terms and Jurisprudential Examples.) Ibn Hazm al-Andalusi, Abu Muhammad Ali, investigation: Abdul Haq al-Turkmani, study and presentation: Abu Abd al-Rahman bin Aqil al-Zahiri, Dar Ibn Hazm, Beirut, first edition, 2007.
- (Arab Language). Ibn Manzur al-Afriqi, Jamal al-Din, Dar Sader, Beirut, undated.
- (Arabic Grammar and Contemporary Linguistics - Alliance and Difference.) Saddiki, Ali, and others, Editing and Supervision: Mokhtar Hosseini, Presented by: Tayeb Debba, Research Center in Islamic Sciences and Civilization, Laghouat - Algeria, first edition, 2020.
- (Balance between the Poetry of Abi Tammam and al-Buhturi). Al-Amidi, Abu Al-Qasim Al-Hassan, investigation: Al-Sayyid Ahmed Saqr, Dar Al-Maaref, Cairo, fourth edition, undated.
- (Clarification in the Sciences of Rhetoric). Al-Khatib Al-Qazwini, Jalal Al-Din, explanation, commentary and revision: Muhammad Abdel-Moneim Khafagy, Al-Azhar Heritage Library, Cairo, third edition, 1993.
- (Definitions). Sharif Al-Jerjani, Ali bin Muhammad, investigation: Muhammad Abdul Rahman Al-Mara'ashli, Dar Al-Nafa'is, Beirut, second edition, 2007.
- (Desouki's Family on the Explanation of Saad). Al-Desouki, Muhammad bin Muhammad Arafa. Within: Summaries of Explanations, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, undated.
- (Evidence of Miracles). Al-Jarjani, Abdel-Qaher, read and commented on it: Mahmoud Muhammad Shaker, Al-Madani Press, Cairo /Dar Al-Madani, Jeddah, third edition, 1992.

- (Explanation of the Literary Introduction Expalining Marzouki on the Diwan of Enthusiasm by Abu Tammam.) Ibn Ashour, Muhammad Al-Taher, investigation: Yasser bin Hamid Al-Mutairi, Dar Al-Minhaj Library, Riyadh, first edition, 1431.
- (Faculties , A Dictionary of Terms and Linguistic Differences), Al-Kafwi, Abu Al-Baqa Ayoub, Investigation: Adnan Darwish and Muhammad Al-Masri, Al-Resala Foundation, Beirut, second edition, 2011.
- (Healing). Ibn Sina, Abu Ali, investigation: Ahmed Fouad Al-Ahwani, review: Ibrahim Madkour, Al-Amiriya Press, Cairo, 1958.
- (Ibn Khaldun Conference Proceedings). Taha Abdel Rahman and others, Publications of the Faculty of Letters and Human Sciences in Rabat, New An-Najah Press, Casablanca, 1981.
- (Introduction). Ibn Khaldoun, Abd al-Rahman, investigation: Abd al-Salam al-Shaddadi, House of Arts, Sciences and Letters, Casablanca, first edition, 2005.
- (Layers of Great Poets). Ibn Salam Al-Jamahi, Muhammad, read and explained by: Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah, undated.
- (Mayor in the Merits of Poetry and Literature). Ibn Rashiq al-Qayrawani, Abu Ali al-Hassan, investigation: Muhammad Qirqazan, Dar al-Maarifa, Beirut, first edition, 1988.
- (Mediation between Al-Mutanabbi and his Opponents). Judge Al-Jerjani, Ali bin Abdulaziz, investigation and explanation: Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim and Ali Muhammad Al-Bajawi, Dar Al-Qalam, Beirut, undated.
- (Newness in Poetry Criticism). Ibn Munqith, Osama, investigation: Ahmed Ahmed Badawy and Hamed Abdel Majid, review: Ibrahim Mustafa, Mustafa Al-Babi Al-Halabi Library and Press Company, Egypt, 1960.
- (Ornament Lecture in the Poetic Industry). Ibn al-Muzaffar al-Hatami, Abu Ali Muhammad, investigation: Jaafar al-Katani, Dar al-Rasheed Publishing, Iraq, 1979.
- (Poetry Gauge). Ibn Tabataba Al-Alawi, Abu Al-Hasan Muhammad, investigation: Abdul Aziz bin Nasser Al-Manea, Dar Al-Uloom for printing and publishing, Riyadh, 1985.
- (Proficiency in the Sciences of the Qur'an.) Al-Suyuti, Jalal Al-Din, investigation: Shuaib Al-Arnaout, comment: Mustafa Sheikh Mustafa, Al-Resala Foundation Publishers, Beirut, first edition, 2008.
- (Religions and Bees.) Al-Shahristani, Muhammad bin Abdul-Karim, edited and presented to him by: Saeed Al-Afghani, Al-Jamal Publications, Beirut, 2013.

- (Science's Key). Al-Sakaki, Abu Yaqoub Yousef, recorded and commented on: Naim Zarzour, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, second edition, 1987.
- (Science's Standard). Al-Ghazali, Abu Hamid, investigation: Suleiman Donia, Dar Al-Maaref, Egypt, 1961.
- (Scout Conventions of Arts and Sciences). Al-Thanawy, Muhammad Ali, investigation: Ali Dahrouj, presentation, supervision, review and translation: Rafiq Al-Ajam, Abdullah Al-Khalidi, George Zenati, Library of Lebanon Publishers, Lebanon, first edition 1996.
- (Sockets.) Al-Tawhidi, Abu Hayyan, investigation and presentation: Muhammad Tawfiq Hussein, Dar Al-Adab, Beirut, second edition, 1989.
- (Statement and Clarification). Al-Jahiz, Abu Othman Amr, investigation: Abdel Salam Haroun, Dar Al-Jeel, Beirut, undated.
- (Statement Materials.) Ibn Khalaf al-Katib, Ali, investigation: Hatem Salih al-Dhamin, Dar al-Bashaer, Damascus, first edition, 2003.
- (Suspending Definitions Assignments.) Ibn Al-Manawi, Abdel Raouf, investigation: Abdel Hamid Saleh Hamdan, World of Books, Cairo, first edition, 1990.
- (The Bride of Weddings in the Explanation of the Key's Summary). Al-Subki, Bahaa Al-Din, investigation: Khalil Ibrahim Khalil, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Beirut, second edition, 2017.
- (The End of Brevity in the Knowledge of Miracles.) Al-Razi, Fakhr Al-Din, investigation and study: Bakri Sheikh Amin, Dar Al-Ilm for Millions, Beirut, first edition, 1985.
- (The Great Explanation of Aristotle's Statements.) Ibn al-Tayyib al-Baghdadi, Abu al-Faraj, investigation: Ali Hussein al-Jabri, Dar al-Takween, Damascus, 2010.
- (The Proverb in the Literature of the Writer and Poet). Ibn al-Atheer, Dia al-Din, achieved by: Ahmed Al-Hofi and Badawi Tabana, Dar Nahdat Misr, Cairo, second edition, without date.
- (The Secret of Eloquence.) Al-Khafaji, Ibn Sinan, investigation: Ali Fouda, Al-Khanji Library, Cairo, second edition, 1994.
- (The Style Containing the Secrets of Rhetoric and the Science of Realities of the Miraculous.) Al-Alawi, Yahya bin Hamza, investigation: Al-Sherbini Sherida, Dar Al-Hadith, Cairo, 2010.

- (The Verbose Key Summary Explanation). Al-Taftazani, Saad Al-Din, corrected and commented on: Ahmed Ezzo Inaya, House of Revival of Arab Heritage, Beirut, first edition, without date.
- (Three Messages in the Miracles of the Qur'an). Al-Khattabi, Abu Suleiman Hamad, and two others, investigation: Muhammad Khalaf Allah and Muhammad Zaghloul Salam, Dar Al-Maaref, Cairo, fifth edition, 2008.
- (Two industries: Writing and Poetry). Al-Askari, Abu Hilal Al-Hassan, investigation: Ali Muhammad Al-Bajawi, Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Al-Asriya Library, Beirut, 2013.